الانعكاسات الاجتماعية للحرب العراقية- الأمريكية على المجتمع العراقي

أ. د. إحسان محمد الحسن (*)

مقدمة تمهيدية

بعد مرور فترة من الزمن على انتهاء الحرب العراقية الأمريكية من الضروري دراسة انعكاساتها الاجتماعية على المجتمع العراقي. علماً بأن العمليات العسكرية للحرب لم تستمر اكثر من عشرين يوماً وان الحرب انتهت بسقوط الدولة العراقية ودخول قوات التحالف أو الاحتلال الى العراق دون أية مقاومة تذكر من جموع الشعب العراقي وبخاصة في بداية دخول قوات الاحتلال. وأن قلة أو محدودية المقاومة الشعبية لقوات الأجنبية التي دخلت العراق، بعد انتهاء العمليات العسكرية ترجع الى عدة عوامل في مقدمتها شعور عدد كبير من العراقيين بأن نظام صدام حسين لم يلبِ مطالبهم وطموحاتهم وان وعود قوات الاحتلال التي وعدت العراقيين بالحرية والديمقراطية والرفاهية والأزهار والاستقرار قد جعلت الكثير منهم يرحبون بالقوات الأجنبية التي دخلت ارض العراق دون معرفتهم بالنوايا الحقيقية للمحتلين ودون أحاسيسهم وشعورهم بمهانة الاحتلال عليهم وما

(*) أستاذ علم الاجتماع ـ رئيس الجمعية العراقية للعلوم الاجتماعية ـ كلية الآداب / جامعة بغداد.

سيجلبه إليهم من مشكلات وتحديات تقض مضاجعهم وتبدد أحلامهم وتدمر طموحاتهم وأهدافهم[1].

وما أن علم العديد من العراقيين بالنوايا الحقيقية للمحتلين بعد أن شاهدوا تدمير المرافق الخدمية والإنتاجية لبلدهم وعدم رغبة المحتلين باعادة بناء ما دمرته الحرب مع غياب الأمن والإستقرار وتفشي البطالة بين الناس وتدهور أوضاعهم المعيشية والأجتماعية وحل العديد من الوزارات المهمة وتسريح العاملين والموظفين عنها دون منحهم الرواتب والأجور أو احالتهم على التقاعد حتى شعر هؤلاء بفداحة الخسارة وخيبة الآمال والأعتقاد بأنهم اصبحوا يرزحون تحت الاحتلال الأمريكي-البريطاني الأجنبي. وهنا سارع الكثير من العراقيين لاسيما العسكريين المسرحين من القوات المسلحة بتنظيم صفوفهم ومواجهة قوى الاحتلال بشكل قوات مقاومة. علما بأن تصاعد حركة المقاومة ضد قوات الاحتلال قد جعلت العديد من العراقيين يعتقدون بأن الحرب بين العراق وامريكا وحلفائها لم تنته بعد وان العراق لم يخسر الحرب كما يدعي بعض المحللين السياسيين والعسكريين[2]. واستمرار الحرب واعمال المقاومة لقوات الاحتلال لقد خلقت حالة من الفوضى وعدم الاستقرار التي لم يألفها العراقيون من قبل.

وحالة الحرب ومظاهر الفوضى وعدم الاستقرار التي عمت المجتمع العراقي بعد اعمال المقاومة المستمرة لقوات الأحتلال قد خلفت العديد من الآثار والأنعكاسات الاجتماعية التي ينبغي الوقوف عندها وتحليلها وابرازها الى السطح.

---

(1)Aczel., Georgy. War Between Democracy and Occupation, Budapest, Allami Kiado, 2003, P.11.

(2)Adams, K.A. Iraqi Resistance Movement and American Occupation, London, Strand Press, 2003, P.9.

ان انعكاسات الحرب العراقية الأمريكية التي اخذت شكل العمليات العسكرية المنظمة وعمليات المقاومة لقوات الاحتلال يمكن تقسيمها الى قسمين اساسيين هما:

أ- الانعكاسات الأيجابية للحرب العراقية الأمريكية.

ب- الانعكاسات السلبية للحرب العراقية الأمريكية.

وتهدف هذه الدراسة الى تجسيد الانعكاسات الإيجابية والسلبية للحرب من اجل التعرف عليها أولا، وثانيا معالجة الجوانب السلبية للحرب معالجة إجرائية لتخفيف آثارها الهدامة على المجتمع العراقي توخيا لبناء مجتمع عراقي جديد خالٍ من آثار التداعي والدمار لكي يستطيع بعد ذلك احراز هدف البناء واعادة البناء الحضاري للمجتمع والأنطلاق به نحو تيارات التقدم والتطوير.

أن هذه الدراسة تتكون من ثلاثة مباحث رئيسية هي ما يلي:

١- الأنعكاسات الاجتماعية الإيجابية للحرب العراقية الأمريكية.

٢- الأنعكاسات الاجتماعية السلبية للحرب العراقية الأمريكية.

٣- التوصيات والمعالجات لمواجهة الانعكاسات السلبية للحرب العراقية الأمريكية.

والآن علينا دراسة هذه المباحث مفصلا.

المبحث الأول: الانعكاسات الاجتماعية الإيجابية للحرب العراقية الأمريكية:

تركت الحرب العراقية الأمريكية منذ وقوعها في يوم ٢٠٠٣/٣/٢٠ العديد من الانعكاسات الاجتماعية الإيجابية لاسيما بعد مرور قرابة السنة على اندلاع نيران هذه الحرب. ولعل من أهم هذه الانعكاسات الإيجابية ما يلي:

أولاً- التضامن الأسري والاجتماعي في مواجهة أخطار الحرب وتهديداتها:

عندما تعرض المجتمع العراقي الى هجوم قوات التحالف عليه بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بدعاوي أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل التي يهدد بها جيرانه ويهدد بها العالم بأكمله فأن الهجوم العسكري هذا سرعان ما قوبل بالمواجهة و التصدي من قبل القوات المسلحة العراقية. والمواجهة هذه نتجت في اشتعال نار الحرب بين الطرفين المتقاتلين. بيد أن الحرب هذه دفعت الأسر العراقية وبقية الجماعات و المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع العراقي الى الوحدة و التماسك والتضامن لمواجهة الخطر المحدق بالعراق[٣]. ذلك أن أخطار الحرب وويلاتها سرعان ما تقود الجماعات و بخاصة الأسر الى التوحد و التضامن ونبذ الفرقة و الأنقسام فيما بينها لكي تكون قوية وقادرة على مواجهة الأخطار و التحديات[٤]. ومثل هذه القوة و الاقتدار لابد أن تمكنها من الدفاع عن نفسها ودرء الأخطار عنها مهما تكن جسيمة و خطيرة.

تشير الأدلة و المعلومات الى أن الحرب العراقية الأمريكية قد جعلت معظم الأسر العراقية تتقارب بعضها من بعض و تعيش سوية في بيوت مشتركة و تمد يد المساعدة الى أفرادها و تكرر زياراتها لهم و تشركهم في شؤونها الخاصة و العامة و تتعاون معهم في حل مشكلاتهم. علما بأن التضامن لا يقف عند حد الأسر العراقية خلال فترة الحرب بل تجاوزها الى الجماعات و المؤسسات والمنظمات

---

(٣) الحسن، احسان محمد (الدكتور). الآثار الاجتماعية للحرب العراقية- الأيرانية على المجتمع العراقي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ١٩، ٢٠٠٠، ص١٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٥.

الاجتماعية الأخرى كالمجتمعات المحلية والقروية والجوامع والمساجد والكنائس والمدارس و المعاهدات و الكليات و الجامعات و النوادي الأجتماعية و الرياضية والمؤسسات الخدمة و الخيرية و الترويحية. اضافة الى المنظمات السياسية و الاجتماعية والإنتاجية ...الخ. وتضامن هذه الجماعات والمؤسسات بعضها مع بعض قد قوى بنيانها و أركانها و عزز وجودها وكشف أنشطتها الاجتماعية و الخدمية وشجع أفرادها على الدفاع عن حياض الوطن ورد الأذى و العدوان عنه و حماية أمنه الى آخر نفس(٥).

ثانياً: بلورة القيم النضالية وترسيخها عند الأفراد والجماعات:

تمخضت الحرب العراقية الأمريكية عن نتيجة إيجابية مهمة تلك هي ظهور و بلورة القيم النضالية وترسيخها عند الأفراد والجماعات(٦). فالحرب أدت الى ظهور و انتشار الكثير من القيم الأيجابية، هذه القيم التي أثرت في سلوك وممارسات الأفراد والجماعات اذ جعلتها اكثر التزاما وفاعلية من ذي قبل. ولعل من أهم القيم النضالية التي أفرزتها الحرب العراقي الأمريكية قيم الإيثار والبذل والعطاء و قيم التعاون والتضامن وحب العمل الجماعي وقيم الشجاعة والبطولة والتضحية والفداء وقيم العدالة والمساواة والديمقراطية والنقد و النقد الذاتي وقيم

(٥) الدليمي، محمود عبد الرزاق (الدكتور). دور العوامل الاجتماعية في المؤسسة السياسية، أطروحة ماجستير غير منشورة، قسم الاجتماع ـ جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص٩٤.

(٦) الحسن، احسان محمد (الدكتور). الآثار الاجتماعية للحرب العراقية الأيرانية على المجتمع العراقي، ص١٠.

التقشف في الأنفاق وترشيد الاستهلاك و الأبتعاد عن الاستهلاك المظهري. أضافة الى قيم الموازنة بين الحقوق والواجبات والثقة العالية بالنفس ... الخ[٧].

علما بأن ظهور وانتشار وبلورة مثل هذه القيم الأيجابية و النضالية أدت دورها في تحسين السلوك الاجتماعي بين الأفراد والجماعات وتفعيل دور العلاقات الاجتماعية بين الناس مما كان له أثره الفاعل في ظهور التضامن الاجتماعي[٨]. وحالة كهذه مكنت العراقيين في مواجهة العدوان والتصدي له واجهاض هجماته لاسيما في الأيام الأولى من الحرب.

لذا فالقيم الجهادية والنضالية التي أفرزتها الحرب العراقية الأمريكية قد قوت عزائم العراقيين وضاعفت ثقتهم بأنفسهم ومكنتهم من تفعيل حركة نضالهم في التصدي للخطر المحدق بهم واجهاض نواياه. وهنا أدت القيم النضالية دورها المهم في تمسك العراقيين بواجب الدفاع عن بلدهم عندما تعرض للاحتلال. غير أن هذه القيم على الرغم من أهميتها وفاعليتها في مضاعفة همة العراقيين في الدفاع عن وطنهم ضد الأخطار والتحديات فأنها لم تصمد أمام القوات الكاسحة التي زجتها قوات التحالف في الجبهة العراقية لأحتلال العراق وتغيير نظامه السياسي والاجتماعي بالقوة[٩]. فضلا عن أن خيبة الأمل التي منيَ بها العراقيون والناجمة عن صعوبة ظروف العراقيين وتفاقم مشكلاتهم قد أدت الى تشتت قيمهم وانكسارها وضعفها وجمودها وتداعيها. ومع هذا فقد كان للقيم النضالية الدور الكبير في التوحد وجمع الكلمة والوقوف بحزم وشدة ضد الأخطار والتهديدات.

---

(٧) المصدر السابق، ص١١.

(٨) المصدر السابق، ص١٣.

(9) Cedrics, F. The Mighty American Invasion of Iraq, New York, The Hopkins Press, 2003, pp.7-10.

ثالثاً: تخفيف الفوارق الأجتماعية والأقتصادية والثقافية بين الأفراد والجماعات

لعل من اهم الانعكاسات الاجتماعية العراقية الأمريكية تخفيف الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين الناس على اختلاف فئاتهم وشرائحهم الاجتماعية. ذلك ان أخطار الحرب وتحدياتها جعلت الناس يقتربون بعضهم من بعض ويختلطون ويتفاعلون سوية ويشاركون في حل مشكلاتهم الحياتية ويتعرفون على مشكلات ومعاناة بعضهم البعض[١٠]. وحالة كهذه مكنتهم من الأختلاط والتمازج والتفاعل بحرية وديمقراطية تامة. ومثل هذا الاختلاط والتفاعل والتمازج الحر قد مكنهم من التعرف الواحد على الآخر والالمام بالمشكلات والتحديات التي تواجه الناس من مختلف الشرائح والخلفيات الاجتماعية. الامر الذي سبب التآزر والتعاون والتكاتف بين الناس. وهنا تعمقت وحدة الأفراد والجماعات خلال فترة الحرب[١١].

ومن الجدير بالذكر ان الحرب العراقية الأمريكية قد جعلت الشعب يتضامن ويتكاتف فيما بينه لأن الحرب منحته الفرصة الأختلاط والتفاعل. علما بأن التضامن الذي أحرزه المجتمع العراقي خلال فترة الحرب قد أدى دوره الفاعل والمباشر في مواجهة العدوان في بداية الحرب ومنعه من تحقيق أهدافه الاستراتيجية، غير ان حجم قوات التحالف وحسن تسليحها وتدريبها والتزامها بالخطط المرسومة لها سلفاً جعلها تخضع الى حالة تخفيف الفوارق بين الناس.

---

(10)Sobolev, A. and et al. Problems of the Contemporary World, U.S.S.R. Academy of Sciences Moslow, 1986, p.26.

(11)Ibid, P.27.

وهنا تمكنت قوات التحالف من احتلال العراق على الرغم من حالة قلة الفوارق الاجتماعية والأقتصادية والثقافية التي خلقتها حالة الحرب التي خاضها العراق مع الولايات المتحدة.

رابعاً- التقشف في الأنفاق وترشيد الاستهلاك

أدت الحرب العراقية الأمريكية دورها الفاعل في دفع العراقيين جميعا الى التقشف في الانفاق وترشيد الاستهلاك. فمنذ سنة قبل الحرب دأب العراقيون على التقشف في الانفاق وترشيد الاستهلاك تحسبا لحالة الحرب التي ستقع في بلادهم والتي لابد ان تؤدي الى شحة الموارد الاقتصادية ومحدودية مصادرها وبخاصة بعد أطالة مدة الحصار الاقتصادي المفروض على العراق من قبل أمريكا وحلفائها من الدول الأوربية وبعد تخصيص نسبة كبيرة من الأموال الاقتصادية النادرة للمجهود الحربي والانفاق العسكري[١٢]. أما صور التقشف في الانفاق التي تحلى بها العراقيون قبل واثناء الحرب فتأخذ المجالات الآتية:

١. تقليص الأموال المصروفة على المواد الغذائية والأطعمة التي يتناولها العراقيون عن طريق تقليل أنواعها وشراء كميات اصغر من ذي قبل[١٣].
٢. استعمال كميات اقل من الوقود والطاقة في التدفئة والطهي والتبريد[١٤].
٣. تقليص نفقات النقل والمواصلات عن طريق استعمال السيارات الخاصة

(١٢) الحسن، أحسان محمد(الدكتور). الآثار الاجتماعية للحرب العراقية- الأيرانية على المجتمع العراقي، ص٢٧.
(١٣) المصدر السابق، ص٢٨.
(١٤) المصدر السابق، ص٢٩.

بصورة اقل من السابق مع الميل نحو استعمال المركبات الكبيرة في نقل الأفراد من مكان الى مكان آخر[١٥].

٤. تقليل الدعوات والولائم المقامة من قبل العوائل الى الأقارب والأصدقاء مع تقليل المواد الغذائية والأطعمة المقدمة فيها.

٥. الاقتصاد في شراء الملابس والكماليات من قبل الأفراد مع الميل نحو استعمال الملابس القديمة بعد تصليحها وجعلها ملائمة للاستعمال الجاري.

أما أساليب ترشيد الاستهلاك التي اعتمدها الأفراد والجماعات قبل وخلال وبعد الحرب العراقية الأمريكية فتأخذ عدة صيغ في مقدمتها ما يلي:

١. ميل الأسر والأقارب نحو المشاركة في السكن اذ اخذت اكثر من عائلتين تعيش في دار سكن واحد. اضافة الى استعداد العوائل المتكونة حديثاً على بناء دور أوشقق سكنية في فناء الدار الأصلي للعائلة وقد وفر هذا اموالا طائلة للعوائل الحديثة.

٢. ميل الأفراد الى ترك التبذير والإسراف والتقيد بترشيد الاستهلاك والحفاظ على الموارد الاقتصادية من الاستهلاك والتبذير والتلف والهدر.

٣. ميل الأفراد والأسر الى اقتناء السلع الرخيصة الثمن التي لا تثقل ميزانية الأسرة وتخل بحساباتها الشهرية أو السنوية.

٤. ترشيد استهلاك الأجهزة الكهربائية المنزلية مع ترشيد المياه وبخاصة المياه النقية الصالحة للشرب.

---

(١٥) المصدر السابق، ص٣٠.

٥. عند ترشيد الاستهلاك العام للأسرة اصبح بمقدورها توفير الأموال الفائضة في المصارف والمؤسسات المالية. واذا كان التوفير بشكل ايداعات مالية فأن الأسرة تستحق لقائه فوائد لا بأس بها يمكن ان تحسن ظروفها الاقتصادية.

خامساً- التحرر من الممارسات والعلاقات السلطوية والدكتاتورية

من اهم الإنعكاسات التي تمخضت عنها الحرب العراقية الأمريكية وبخاصة بعد سقوط النظام البعثي في بغداد يوم ٢٠٠٤/٤/٩ انهيار دكتاتورية السلطة التي كان يقودها النظام الحاكم في العراق ومعها سقوط جميع الدكتاتوريات التسلطية والعنجهية التي كانت تسيطر على أجهزة الدولة العراقية[١٦]. اضافة الى سقوط قوات الأمن والمخابرات التي كانت تتزعم النظام العراقي السلطوي وتداعي اجهزته البوليسية والقمعية المقيتة التي كانت تفعل ما تشاء ضد المواطنين الأمنين العزل دون ان يحاسبها أو يحد من سطوتها احد[١٧].

وبعد انهيار السلطة المركزية في بغداد انهارت معها العديد من الأجهزة السلطوية والدكتاتورية التي كانت مسيطرة على العديد من الدوائر والأجهزة الحكومية الامر الذي حرر الشعب بشتى فصائله وتراكيبه من الضغوط والأجواء السلطوية التي كانت تقيد حركته وتكبله بالقيود والأغلال التي تشل نشاطه وتمنعه من نيل الحرية والديمقراطية التي كان يهدف الى نيلها والتمتع بها[١٨].

---

(16) Allan, M.The Positive Social Results of American War Against Iraq, London, the Hicks Press, 2004. P.57.

(17) Ibid.,p. 59.

(18) Ibid.,p.62.

لذا فقد أنهت الحرب العراقية الأمريكية أجواء التسلط والدكتاتورية التي حلت محلها أجواء الحرية والتحرر والديمقراطية التي انتشرت مظاهرها في جميع أرجاء المجتمع العراقي. ومن مظاهر الديمقراطية والحرية التي تمتع بها العراقيون بعد تغيير نظام الحكم ما يلي:

١. حرية تأسيس الأحزاب السياسية الجديدة التي تمثل القوى والحركات والتيارات السياسية العراقية التي شاركت بطريقة أو بأخرى في تغيير نظام الحكم(١٩).

٢. حرية تأسيس الصحف والمجلات وطباعة ونشر الكتب والمصادر الأدبية والعلمية والفنية والثقافية، ومثل هذه المطبوعات شجعت العديد من الكتاب والمفكرين على نشر أفكارهم وطروحاتهم وقرائحهم.

٣. حرية التعبير والقول والرأي والاجتماع مع حرية الانتقاد لما يجري في المجتمع.

٤. حرية الأنتماء الى الأحزاب والحركات والتيارات السياسية.

٥. حرية الترشيح والانتخاب في المجالس البلدية والدستورية والتشريعية.

٦. حرية المشاركة في سن وتشريع القوانين.

٧. حرية المرأة التي مكنتها من ممارسة العمل السياسي جنبا الى جنب مع الرجل، اضافة الى منح المرأة حقوقها القانونية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية التي مكنتها من المساهمة مع الرجل في الاداء الأعمال والمسؤوليات(٢٠).

---

(19) Ibid.,p.102.

(20)Ibid.,p.112.

٨. حرية تكوين وتطوير الجمعيات والاتحادات والنقابات التي تدافع عن حقوق العمال والفلاحين والمهنيين والصحفيين...الخ.

٩. حرية التعيين والعمل في دوائر وأجهزة الدولة مع حرية الاستقالة والعمل في دوائر واعمال أخرى.

١٠. حرية الفرد في رسم مستقبله وتحديد مصيره مع حرية الجماعة أو المؤسسة في اتخاذ القرار المناسب الذي يحترم مصالحها ويحقق أهدافها وطموحاتها فضلاً عن حرية انتقاد السلطة وتبيان أخطائها.

سادسا- توفر السلع الاستهلاكية والكمالية في الأسواق وقدرة الأسر العراقية على اقتنائها بسهولة

من الانعكاسات الإيجابية للحرب العراقية الأمريكية تحرر التجارة الخارجية في العراق من القيود التي كانت مفروضة عليها من قبل النظام السابق. وهذا التحرر مكن التجار العراقيين والشركات التجارية العراقية والأجنبية من استيراد مختلف السلع الأستهلاكية والكمالية من الدول الأوربية ومن أمريكا وكندا واستراليا مما اغرق ذلك الأسواق العراقية بالسلع الأستهلاكية والكمالية المستوردة وبكميات كبيرة جداً وبأنواع مختلفة تلبي أذواق المستهلكين[٢١]. وحالة كهذه لم تشهدها الاسواق العراقية منذ عشرات السنين. علما بأن توفر مختلف السلع الاستهلاكية والكمالية وبكميات كبيرة جعل المواطنين يتمتعون بدرجة لا بأس بها من الاستقرار والطمأنينة والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية[٢٢].

(21)Sultan, F. The Aftermath of the Iraqi- American War, Budapest, Academy Press, 2003, p.17.

(22)Ibid., p.21.

عند توفر مختلف السلع الاستهلاكية والكمالية في الاسواق وبنوعيات جيدة وبأسعار معتدلة نوعا ما فأن هذا لابد ان يدفع المواطنين على اقتنائها بسهولة والحصول على درجة عالية من الاشباع منها. علما بأن تداول هذه السلع في الاسواق من قبل التجار والشركات ووفرتها وتنوع أنواعها ومصادر انتاجها لابد ان يخلق حركة اقتصادية داخلية تسبب الانتعاش الاقتصادي والرفاهية[٢٣]. فضلا عن تنامي الطلب على هذه السلع المتوفرة في الاسواق والحصول عليها بسهولة جداً لإسيما الاجهزة المنزلية والكهربائية والسيارات والاقمشة وأجهزة الاتصالات على اختلاف أنواعها والمواد المعلبة والمشروبات الغازية والسكائر والأدوية والعقاقير وأجهزة البث الأرضي والفضائي...[٢٤] الخ.

ومن الجدير بالذكر ان رفاهية المواطن تجسدت في امكانيته الحصول على هذه السلع بسهولة جداً دون الحاجة للانتظار لاشهراً وسنوات قبل الحصول على السلع التي يحتاجها. خلال فترة النظام السابق ونتيجة للعوز والحاجة اضطرت معظم الاسر الى بيع أجهزتها وادواتها المنزلية. لكنها الان راحت هذه الاسر تسترجع ما باعتها من أجهزة وأثاث خلال الأيام الصعبة. لذا نرى ارتفاع الطلب على السلع المنزلية وأدوات تسهيل عمل المنزل، مع سهولة وسرعة اقتناء هذه الأدوات والأجهزة دون اضطرارها الى الانتظار لأشهر وسنوات للحصول عليها. وهذا ما جعل المواطن يشعر بالرفاهية والسعادة والاستقرار لاسيما بعد زيادة معدل دخله عما كان يتقاضاه سابقا[٢٥]. ولكن هناك عددا كبيرا من المواطنين عاطلين عن

(23)Ibid., p. 29.

(24)Ibid., p. 35.

(25)Ibid., p. 41.

العمل ولا يستطيعون اقتناء السلع التي أصبحت متوفرة في الاسواق بكميات كبيرة جداً.

غير ان الأمل يحدونا بتوفر العمل للجميع وانتشار الرفاهية والاستقرار وزيادة الطلب الفعال على السلع الأساسية والكمالية لاسيما بعد استتباب الأمن وانتشار الاستقرار والنظام وحكم القانون.

هذه هي اهم الانعكاسات الاجتماعية الإيجابية التي تمخضت عنها الحرب العراقية الأمريكية. بقى علينا دراسة الانعكاسات الاجتماعية السلبية للحرب بشيء من التفصيل.

المبحث الثاني: الانعكاسات السلبية للحرب العراقية الأمريكية

على الرغم من الأيجابيات التي جاءت بها الحرب العراقية الأمريكية فأن هذه الحرب لا تخلو من الأضرار والسلبيات التي تحمل وزرها الشعب العراقي اكثر من اية جهة أخرى، بل أن الأضرار والسلبيات التي جلبتها الحرب للعراق وللعراقيين تفوق الإيجابيات ولو أن ذلك هو على صعيد الافق المنظور. لقد تمخضت الحرب عن الانعكاسات السلبية الآتية التي استطعنا تأشيرها عند ظهورها الى السطح.

١- تدمير أجهزة ومؤسسات الدولة والمجتمع والتردد عن أعادة بنائها بالسرعة الممكنة

أدت الحرب التي تعرض لها العراق يوم ٢٠ آذار ٢٠٠٣ واستمرت لغاية ٩نيسان ٢٠٠٣ وما تبعها من اعمال نهب وسلب وحرق الى تدمير معظم أجهزة ومؤسسات الدولة والمجتمع الانتاجية منها والخدمية. فقد دمرت البنى الارتكازية

للدولة بالمدافع الثقيلة والدروع، هذا القصف الذي نتج في حرقها وتدميرها وتوقفها كلية عن العمل. ومن المرافق والمؤسسات التي طالها التدمير الجسور والقنوات والساحات العامة والشوارع الرئيسية والابنية الحكومية ودوائر البريد والبرق والهاتف والتلكس ومحطات الإذاعة والتلفزيون وشبكات الماء والكهرباء ومصافي النفط ومحطات الغاز والمصارف وشركات التامين والمؤسسات المالية والمطارات المدنية والطائرات ووسائط النقل العامة والخاصة والمتاحف التي سرقت ودمرت والجوامع والمساجد والكنائس وبقية أماكن العبادة[٢٦]. فضلاً عن تدمير المدارس والمعاهد والكليات والجامعات والمكتبات التي دمرت وحرقت ونهبت مع تدمير المستشفيات ومخازن الأدوية وحرقها وسرقتها وحرق المختبرات والمراكز العلمية والبحثية. اضافة الى تدمير مؤسسات الرعاية الاجتماعية ومؤسسات رعاية القاصرين ومؤسسات رعاية المعوقين ونهبها وحرقها. ولم تسلم المجمعات السكنية والترويجية من القصف الجوي والصاروخي والتدمير الشامل. علما بأن عملية القصف والحرق والتدمير الشامل لم تنحصر على الأبنية والمستلزمات المادية المنقولة وغير المنقولة فحسب بل طالت الأفراد أيضا اذ قتل أثناء القصف والتدمير والحرق مئات الآلاف من الأفراد وجرح وعوق ضعف هذا العدد من الناس[٢٧].

ناهيك عن سرقة أموال المصارف الكبيرة وما تحتويه من مسكوكات ومصوغات ذهبية نادرة وعملات صعبة بالدولار والجنيه الاسترليني واليورو والمارك والفرانك والين.

(26)Patak M.F. The Destruction of American War to Iraqi Society, New Delhi, The Ivory Press, 2004, pp. 12-14.

(27)Ibid., p. 21.

وبعد تدمير البنى الارتكازية للدولة والمجتمع العراقي من قبل قوات الاحتلال لم تبادر هذه القوات مع الأسف باعادة الاعمار وتصليح الخدمات الأساسية التي يحتاجها المواطنون وبخاصة الماء والكهرباء والطاقة والوقود والخدمات الاخرى على الرغم من جمع الأموال للقيام بتنفيذ مشاريع اعادة الاعمار اكثر من مرة واحدة من الدول الغنية.

والان يعاني العراقيون من مشكلات انعدام أو شحة العديد من الخدمات كالكهرباء والماء والمجاري والصحة العامة والأمن والخدمات السكنية والتربوية والتعليمية. مع تفاقم حدة البطالة بين المواطنين وعدم توفر الأعمال للعاطلين وتفشي الفقر والحاجة والمرض والارهاب في ربوع المجتمع العراقي.

٢- تفشي البطالة بين السكان وعدم توفر فرص العمل

من النتائج السلبية للحرب العراقية الأمريكية تفشي البطالة بين جموع الشعب العراقي وعدم توفر فرص العمل للعاطلين[٢٨]. علماً بأن البطالة هي مرض اقتصادي واجتماعي يؤدي الى تعطيل الطاقات البشرية لابناء المجتمع وقتل نوازعها نحو العمل الإنتاجي والخدمي مع الشعور باليأس والقنوط وفقدان الامل. علما بأن سبب تفشي البطالة بين العراقيين بعد الحرب يرجع الى العوامل الاتية:

١- إغلاق معظم الوزارات العراقية التي تشغل اعداداً كبيرة من الناس لاسيما وزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الاعلام ووزارة الخارجية ووزارة التخطيط.

(28)Foucasz, V.M. the Oil War: Its Causes and Effects, Budapest. The Sunny Press, 2004, p. 11.

٢- تقليص الأيدي العاملة في جميع المؤسسات والوزارات الانتاجية والخدمية التي لم تتعرض الى الالغاء والحل.

٣- إيقاف أعمال مئات المصانع والشركات والمزارع وورش العمل والمناجم والمصالح الاقتصادية مع تسريح العاملين فيها.

٤- إيقاف أو إلغاء جميع مشاريع التنمية القومية الاقتصادية منها والاجتماعية وتسريح العاملين فيها على اختلاف أعمالهم ومهنهم ومراكزهم.

٥- عدم فتح مجالات إنتاجية وخدمية جديدة يمكن ان تكون مصادر لامتصاص الكوادر والقوى البشرية العاملة.

لهذه الأسباب جميعا ارتفعت معدلات البطالة الى نحو ٦٠% واصبح عدد العاطلين يربو على أربعة ملايين نسمة. ان هذه الحالة الاقتصادية الصعبة يمكن معالجتها عن طريق اعادة فتح الوزارات والمديريات والأعمال المغلقة واستحداث مشاريع اعادة البناء لاسترجاع المصالح والمؤسسات الانتاجية والخدمية التي دمرتها الحرب وشلت قدرتها على العمل.

٣- تقليص وشحة مختلف الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين

من السلبيات والمشكلات التي نجمت عن الحرب العراقية الأمريكية تقليص وشحة مختلف الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين اما بسبب تدمير المؤسسات الخدمية وعدم قدرتها على العمل أو بسبب شحة مواردها المالية وملاكاتها البشرية المتخصصة[٢٩]. والخدمات الرسمية التي تقلصت أو توقفت كلية نتيجة للحرب هي ما يلي:

---

(29)Ibid., p. 39.

١- خدمات الصحة العامة كالمجاري والتنظيف وتبليط الشوارع والساحات وفتح شوارع وساحات جديدة وخدمات مكافحة تلوث البيئة بالأوساخ والحشرات الضارة والشوائب.

٢- الخدمات الطبية العلاجية والوقائية لمختلف الأمراض الجسمية والنفسية والعقلية.

٣- الخدمات السكنية التي تتولى بناء المساكن الصحية وتوزعها على المواطنين أو الكلفة أو بأسعار معتدلة.

٤- الخدمات التربوية والتعليمية التي تقلصت هي الاخرى نتيجة للحرب على الرغم من تزايد أعداد الدارسين والطلبة والتلاميذ من كلا الجنسين.

٥- خدمات الرعاية الاجتماعية كخدمات التقاعد والضمان الاجتماعي وخدمات رعاية الأمومة والطفولة ورعاية القاصرين والاحداث والشباب والمسنين والمعوقين...الخ.

٦- الخدمات الامنية التي تحافظ على أمن المواطنين وتحقق السلامة العامة والأمن الاجتماعي.

٧- خدمات الاستخدام والتشغيل التي تجد الأعمال للعاطلين وتنسق بين استخدام العاطلين ومؤسسات التقاعد ورعاية الأسرة والضمان الاجتماعي.

٨- الخدمات الترويحية التي تستحدث الخدمات الترويحية وتحث الناس على الاستفادة منها كالأندية والجمعيات الرياضية والفنية والعلمية والأدبية...الخ.

علما بأن تقليص أو توقف هذه الخدمات نتيجة للحرب العراقية الأمريكية قد سبب بعثرة الاوضاع الاجتماعية للمواطنين وترديها. لذا ينبغي اتخاذ ما يلزم لاعادة تشغيل هذه الخدمات وتفعيلها لكي تؤدي دورها الفاعل في خدمة جموع الشعب على اختلاف شرائحهم وخلفياتهم الاجتماعية.

٤- غياب الأمن وتفشي ممارسات الارهاب في ربوع المجتمع

من النتائج السلبية الخطيرة التي تمخضت عنها الحرب العراقية الأمريكية غياب الأمن لمدة طويلة من الزمن بعد الغاء وزارة الداخلية العراقية ووزارة الدفاع وجهاز الأمن والمخابرات ومجيء القوات الأمريكية بدروعها وعجلاتها وجنودها، هذه القوات التي لا تستطيع حماية الأمن الداخلي للمواطنين لأنها قوات عسكرية وجوية غرضها الهجوم والاحتلال. وعند تكوين الشرطة العراقية الجديدة لم تكن بالأعداد والمهارات الكافية التي تستطيع حماية الأمن لاسيما بعد غياب القانون والدستور وحكم القانون، مع ضعف المحاكمة والأجهزة القضائية في تحقيق العدالة ونشر الأمن والنظام والأستقرار في ربوع المجتمع[٣٠].

وفي ضوء غياب الأمن والقانون وأجهزة العدالة الجنائية ازدادت أحداث العنف والنهب والسلب لاسيما بعد تعرض القوات الأمريكية المحتلة الى المقاومة وتعرض ما أوجده المحتلون من نضم ومؤسسات وخدمات الى المقاومة والتخريب واعمال العنف التي كانت تقوم بها العديد من المنضمات والتجمعات الأرهابية بحجة انها تريد استقلالية العراق من قوى الأحتلال[٣١]. بيد أن الجماعات الأرهابية راحت تشن العمليات الارهابية ضد العراقيين وضد المؤسسات الخدمية والإنتاجية العراقية اكثر مما تشن على قوات الاحتلال. الامر الذي زعزع الأمن والاستقرار وسبب فقدان الثقة بين الناس مما أدى الى تخلف العراق بتاخير أو تأجيل إعادة اعمار العراق بحجة فقدان الأمن وعدم وجود القانون والنظام.

---

(30) Ibid.,p.43.

(31) Reddy, F. War and Terrorism in Iraq, Calcutta, the New Press, 2003, pp. 19-12.

ومن الجدير بالذكر ان غياب القانون وتفشي اعمال العنف والتخريب وعدم وجود الاجهزة التي تحفظ الأمن والنظام قد شجع مئات الارهابيين الاجانب من القدوم للعراق للمشاركة في اعمال التخريب والقتل والدمار والنهب والسلب لاسيما وان الحدود العراقية مفتوحة للجميع اذ لا توجد قوات حدود تمنع هؤلاء الجناة والمتسللين والمجرمين. لذا دخل الى العراق مئات الارهابيين العرب والاجانب بحجة تحرير العراق من القوات الأجنبية المحتلة. غير ان غرضهم قد تحول من التحرير الى قتل وسرقة وارهاب العراقيين انفسهم. وهنا عمت الفوضى ودب الخراب والدمار في ربوع العراق مما اضطر ذلك العديد من المواطنين الى الفرار خارج العراق بسبب فقدان الأمن واستفحال أعمال العنف والارهاب.

٥- تدني المستوى المعاشي والاجتماعي والثقافي لمعظم الأفراد والجماعات

نتيجة انقطاع مصادر الرزق

من المعلوم ان شيوع الفوضى واعمال الارهاب وغياب الأمن والاستقرار في ربوع المجتمع مع توقف معظم المؤسسات الانتاجية والخدمية عن العمل وتسريح العاملين فيها على اختلاف مستوياتهم وتحويلهم الى أفراد عاطلين عن العمل، قد سبب انخفاض المستوى المعاشي والاقتصادي للمواطنين نتيجة انقطاع مصادر رزقهم[٣٢]. والانخفاض في المستوى المعاشي نتيجة تدهور الاوضاع الاقتصادية للمواطنين سبب انخفاض مستواهم الاجتماعي وتردي أحوالهم

(32)Patak, M.F. The Destruction of American War to Iraqi Society, p.81.

الاجتماعية والثقافية مما جعلهم اقل استقراراً وتكيفاً للمجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه(٣٣).

ان تدني المستوى المعاشي للمواطنين نتيجة للحرب العراقية الأمريكية قد عبر عن نفسه في عدة مؤشرات اقتصادية ومادية لعل أهمها ما يلي:

١- انخفاض معدل دخل الفرد الى مستويات واطئة جداً نتيجة انقطاع دخول العديد من المواطنين لاسيما الذين يعملون في القطاع الاشتراكي أو القطاع المختلط.

٢- قلة مصروفات الأسرة على اقتناء المواد الغذائية التي يحتاجها الجسم مما عرض العديد من المواطنين الى الأمراض الانتقالية والمزمنة.

٣- انخفاض مصروفات الأسرة على السكن والاثاث والتبريد والتدفئة وتسهيلات النقل والمواصلات.

٤- هبوط مصروفات الأسرة على المعالجة الطبية والحالة الصحية لافرادها.

٥- تقليص كميات النقود المصروفة على الأنشطة الترويحية خلال أوقات الفراغ والأوقات الحرة.

٦- عدم استطاعة الأسرة على التوفير بسبب تدني أو محدودية أو انقطاع مصادر رزقهم.

ومن مظاهر تدني مستويات الاجتماعية والثقافية للأفراد ما يلي:

١- ظهور الخلافات والصراعات بين الأفراد والجماعات مما سبب ذلك شل الوحدة الاجتماعية بين أبناء المجتمع.

٢- غياب روح التضامن والتكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء وبين الأقوياء والضعفاء من أبناء المجتمع مما سبب تصدع وحدته الوطنية والاجتماعية.

---

(33)Ibid., p. 85.

٣- استفحال العديد من المشكلات الاجتماعية في المجتمع كمشكلة الفقر والمرض والامية والجريمة وتفكك الأسرة والطلاق و جنوح الاحداث والادمان على المسكرات والعقاقير.

٤- تسرب المئات والآلاف من التلاميذ عن المدارس والمعاهد والكليات والجامعات بسبب انخفاض المستوى الاقتصادي والمزاوجة بين الدراسة والعمل.

٥- تفضيل العمل والكسب المادي السريع عن الدراسة والتحصيل العلمي والاكاديمي.

٦- عدم الرغبة في الدراسة وطلب العلم والمعرفة بسبب ظروف المجتمع الصعبة التي ولدتها سلبيات الحرب والاحتلال وفرض الحصار الاقتصادي لمدة طويلة على المجتمع.

٦-انقسام الأفراد والجماعات وظهور الصراعات واعمال القتل والنهب والسلب بين الناس

من الانعكاسات الاجتماعية السلبية التي تمخضت عنها الحرب العراقية الأمريكية انهيار وحدة المجتمع العراقي وتفتيتها بعد تعرض المجتمع الى الاحتلال العسكري الأجنبي، هذا الاحتلال الذي نجم عنه ظهور الانقسامات الفكرية والعقائدية والعنصرية والطائفية والطبقية والثقافية بين الأفراد والجماعات[٣٤]. ذلك انه بعد الاحتلال ظهرت عشرات الأحزاب السياسية المتخاصمة والمتناقضة في افكارها وقيمها وتوجهاتها وظهرت عشرات الصحف والاتجاهات والتيارات الفكرية والسياسية والاديولوجية. كما ظهرت الخصومات والتناقضات الشخصية

(34)Reddy, F. War and Terrorism in Iraq, p. 33.

والفكرية بين الأفراد والجماعات بحيث اصبح كل فرد يكره ويخاصم الفرد الآخر ويتحداه ويريد بشتى الوسائل والطرق القضاء عليه واخراجه من الساحة السياسية و الاجتماعية.

في خضم هذه الظروف الداعية الى التخاصم والتقاطع والاقتتال بين الأفراد والجماعات لاحت في الافق اعمال القتل والسلب والنهب والاعتداء على الأفراد وممتلكاتهم والتي راح نتيجتها مئات القتلى والجرحى والمعوقين، ونهبت السيارات والدور والمخازن التجارية مما سبب ذلك فقدان الأمن والنظام والاستقرار وشيوع مظاهر العنف والارهاب والسلب والنهب والسرقات التي كادت تعصف بالمجتمع وتقوض أركانه البنيوية ونظمه الاجتماعية والحضارية وتمسخ معالم مدنيته مسخا كليا.

ولكن يجب ان نتساءل هنا عن الأسباب الموضوعية والذاتية الداعية الى مظاهر الانقسام والفرقة والتشرذم بين أبناء المجتمع الواحد والداعية الى ظهور اعمال العنف والقوة والسلب والنهب بينهم. ان مثل هذه الظواهر السلوكية المدانة ترجع الى عدة أسباب في مقدمتها ما يلي:

١- احتلال العراق وتعرض العراقيين الى حياة صعبة ومملة ومهانة رفعت بالعراقيين الى كراهية بعضهم البعض والتخاصم فيما بينهم.

٢- الاحباط الذي أصاب العراقيين نتيجة تدنيس بلدهم وأرضهم ومقدساتهم، ومثل هذا الاحباط قد قاد الى العدوان الذي جسد نفسه في الصراعات التي ظهرت بين العراقيين وفي اعمال النهب والسلب والقتل التي عمت أرجاء البلاد.

٣- تفشي البطالة بين أعداد كبيرة من المواطنين مع ظهور المشكلات الاجتماعية الخطيرة بينهم.

٤- شُرذمة المجتمع العراقي وانقسامه طائفياً وعنصرياً وطبقياً وثقافياً الى جماعات مختلفة ومتناقضة كانت السبب المباشر في الصراعات واعمال العنف التي ظهرت في وسطه وقوضت أركانه ومقوماته الاساسية.

٥- المشكلات التي تعرض لها المجتمع العراقي نتيجة للاحتلال الأجنبي كمشكلات البطالة والمرض وتفكك العائلة والتضخم المالي والامية والجهل والجريمة... الخ.

٧- شعور العراقيين بالذلة والمهانة بعد تعرض بلدهم الى الغزو والاحتلال الأجنبي

من الانعكاسات السلبية التي نجمت عنها الحرب العراقية الأمريكية لاسيما بعد الاحتلال العسكري للعراق شعور العراقيين بالذلة والمهانة والقنوط والانكسار النفسي والمعنوي[٣٥]. ذلك ان الاحتلال العسكري الذي شهده العراق على أيدي الأمريكيين والبريطانيين جعل العراقيين يشعرون بخيبة الامل لانهم فقدوا كل شئ، فقدوا امالهم وطموحاتهم وكل شئ يمتلكونه حتى انهم أضاعوا حاضرهم ومستقبلهم ونسوا ما كان يخططون له في الماضي.

وعندما احتلت أمريكيا والدول المتحالفة معها العراق ودمرته شر تدمير والغت مؤسساته الحيوية ووزارته لاسيما مؤسساته الانتاجية والخدمية فان هذا قد جلب الشر الوبيل للعراقيين. فالعراقيون كانوا الطرف الذي تحمل نتائج خسارة الحرب. ومن هذه النتائج الخسارة المادية الكبيرة والخسارة المعنوية المهينة التي جعلت الدول والشعوب لا تحترم العراقيين لانهم لم يدافعوا عن بلادهم عندما

(35)Cedrics. F. The Mighty American Invasion of Iraq, pp. 90-92.

تعرضت لاخطار الغزو والاحتلال الأجنبي، وان الأمريكيين وغيرهم قد احتلوهم بوقت قياسي وبمقاومة ضئيلة جداً.

وعندما لم يشعر العراقيون بأنهم محترمون من قبل الدول والشعوب فانهم اخذوا يشعرون ويحسون بالذلة والمهانة التي اخمدت عندهم روح العمل والخلق والإبداع. وهذا ما جعلهم يتخلفون وينحدرون درجات الى الأسفل في سلم الحضارة والمدينة والسيادة والاستقلالية والحرية.

بيد ان هيبة وكبرياء العراقيين لايمكن ان ترجع لهم الأبعد تحرير بلدهم من قوى الاحتلال والهيمنة الأجنبية. لذا يتطلب من العراقيين اتخاذ ما هو مناسب لتحرير بلدهم عن طريق جلاء القوات الأجنبية الغازية منه بأسرع وقت ممكن. غير ان تحرير العراق وتخلصه من القوات المحتلة يتطلب منه تكثيف حملات الحوار الوطني المنظم ضد التواجد العسكري الأجنبي لاسيما التواجد العسكري الأمريكي والبريطاني. غير ان الحوار الوطني المنظم الذي يطالب بجلاء قوات الاحتلال يتطلب تصفية الخلافات بين العراقيين الى ان يتحرر العراق من الغزو والاحتلال الأجنبي.

٨- ظهور المقاومة الوطنية المسلحة ضد قوى الاحتلال الذي أجج حالة الصراع بين الشعب العراقي وقوى الاحتلال الأجنبي:

بعد ان أيقن العراقيون بان قوى التحالف قد أعلنت رسمياً في المحافل الدولية بانها ليست قوى تحرير وديمقراطية وحرية كما ادعت لاول وهلة بل قوى احتلال أجنبي، وان هذه القوى لم تحرر ساكناً لاعادة اعمار ما دمرته الحرب، وأنها ألغت العديد من الوزارات العراقية المهمة والخطيرة كوزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الاعلام ووزارة الخارجية ووزارة التجارة ... الخ، فضلاً عن عدم اعلان

هذه القوات بتحديد موعد زمني للانسحاب. في ظل هذه الظروف ظهرت قوى المقاومة لتحرير العراق من قوى الاحتلال باستعمال أسلوب المقاومة المسلحة. علماً بأن استعمال أساليب المقاومة الوطنية المسلحة قد أدى الى تفاقم الصراع بين جموع الشعب العراقي وقوى الاحتلال الغازية التي لم تأت من بلد واحد أو بلدين بل أتت من تقريباً ثلاثين بلداً حليفاً للولايات المتحدة الأمريكية(٣٦).

ومن الجدير بالذكر ان تفاقم حدة الصراع بين التنظيمات المقاومة للشعب العراقي وقوى الاحتلال الأجنبي التي راحت ضحاياها تزداد كل يوم من الطرفين المتصارعين قد اخذت أشكال مسلحة كثيرة منها نصب الكمائن وتفجير العبوات الناسفة واستعمال القاذفات والصواريخ مع قتل العدو باستعمال الأسلحة الخفيفة كالرشاشات والبنادق والمسدسات. فضلاً عن استعمال السيارات المفخخة والتفجيرات الناسفة والهاونات ورمي القنابل اليدوية على قوات وعجلات العدو. كما ان العدو استعمل ضد قوات المقاومة الطائرات والصواريخ والقنابل المحمولة بالطائرات والأسلحة الثقيلة لدك مواقع العدو واسكاتها. علماً بأن الصراع المستمر بين قوى المقاومة المسلحة وقوى الاحتلال الأجنبي قد عرقل وأخر مشاريع الاعمار واعادة البناء الى فترات لا يمكن ان تقبلها السلطات العراقية. وهذا ما جعل حياة العراقيين صعبة ومعقدة ومليئة بالأخطار والتحديات.

بيد ان العراقيين لا يستطيعون إيقاف حركة المقاومة دون قيام قوات الاحتلال بالجلاء عن الأراضي العراقية واعلانهم استقلال العراق بدون قيد أو شرط، وان قوات الاحتلال لا تستطيع المباشرة بحركة الاعمار والانشاء واعادة البناء دون إيقاف الأعمال العسكرية ضد قوى الاحتلال: لذا يتطلب من المقاومة

(36)Adams, K.A.Iraqi Resistance Movement and American Occupation, London, Strand Press, 2003.P.51.

العراقية إيقاف العمليات العسكرية ضد قوى الاحتلال، ويتطلب من القوى الأخيرة الخروج من العراق بأسرع وقت ممكن. وهنا تنحل مشكلة الاحتلال التي يتعرض لها العراقيون وتتوقف اعمال المقاومة(العنف والارهاب) التي يقوم بها العراقيون ضد قوى الاحتلال الأجنبي.

٩- غياب السلطة والقانون والأمن لفترة طويلة من الزمن مما شجع العديد من المنحرفين والمجرمين وضعاف النفوس وفاقدي الذمة والضمير على ارتكاب الجرائم والأعمال الارهابية ضد الأفراد والمؤسسات والملكية

احتلال القوات الأجنبية للعراق قد أدى بدون شك الى غياب السلطة والقانون والأمن لفترة طويلة من الزمن لاسيما بعد سقوط الدولة العراقية بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٩.

ونعني بغياب السلطة فقدان الحكومة وتهميشها وغيابها كلية بعد اختفاء النفوذ العراقي عن ادارة شؤون بلدهم وتنظيمه وزيادة قوى ونفوذ المحتلين الاجانب. علما بان غياب السلطة وتلاشيها عن الأنظار قد سبب اختفاء القوانين التي تنظم شؤون البلاد وتحل العدالة والسلام والاستقرار في ربوع المجتمع(٣٧). اضافة الى ان اختفاء السلطة وغياب القانون لابد ان يفضي الى تهميش الأمن وعدم وجوده في المجتمع. علما بان غياب الأمن ينتج في حالة عدم الاستقرار واضاعة فرص التقدم والتنمية والنهوض التي يمكن ان يحرزها العراقيون في

(37)Benn, S.I. War and the Absence of Criminal Justice in Iraq, London, the Crown Press, 1993, p. 57.

بلادهم. غير ان الاحتلال الأجنبي للعراق بدد السلطة والغى القوانين وأجهزة العدالة الجنائية مما اثر سلبا في أمن البلد واستقراره وسلامته وطمأنينته(٣٨).

وعند غياب السلطة ومعها القانون والامن فان العديد من فاقدي الذمم والضمائر والأخلاق والتنشئة الاجتماعية السليمة والتربية الأخلاقية الفاضلة يظهرون الى السطح ليرتكبوا شتى أنواع الجرائم والموبقات واعمال العنف ضد المواطنين الأبرياء والعزل وضد الأساتذة والعلماء والدكاترة وضد أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع وضد الملكية والسلامة العامة والامن الاجتماعي بحجة ان هذه الأعمال الارهابية والا أخلاقية يرتكبونها ضد قوى الاحتلال من الاجانب التي استباحت حرمة العراق وبددت حالة أمنه الاجتماعي وزرعت الخوف والذعر والهلع في نفوس الأفراد والجماعات.

ولكن يجب ان نذكر هنا بان الأعمال الارهابية والإجرامية التي يرتكبها فاقدوا الضمير والوجدان والأخلاق لا ترتكب ضد الأمريكان وحلفائهم من الاجانب بقدر ما ترتكب ضد العراقيين على اختلاف اعمارهم وأجناسهم ومهنهم وخلفياتهم الاجتماعية والاثنية والطبقية. الامر الذي يخلق حالة الفوضى والخراب وضياع الثقة بالآخرين ويفتت الوحدة الوطنية ويطعنها في الصميم. فضلا عن دور هذه الحالة الشاذة في استمرارية الاحتلال وتسلط الاجانب على العراقيين وسحقهم وتدميرهم لكي لا تقوم لهم قائمة.

وفي ظروف كهذه تعم حالة الجريمة والفساد وتنتشر في ربوع المجتمع، هذه الحالة التي تقوض أركان المجتمع وتهدد أمنه وسلامته بالخطر. علما بان الاحتلال الأجنبي والاستعمار ينمو ويكبر ويستمر في ظل غياب الأمن والنظام

(38)Ibid., pp. 60-61.

والسلطة والقانون. لذا تحرص قوى الاحتلال الأجنبي في العراق على الابقاء على حالة غياب السلطة وفقدان الأمن وتهميش القانون بشقيه الرسمي وغير الرسمي. بينما ظهور السلطة القوية والقانون الفاعل والامن المستقر ينهي حالة الاحتلال الأجنبي ويصفي الاستعمار ويضع حداً لوجوده ويسرع عملية السيادة والاستقلال والتحرر من الهيمنة الأجنبية المقيتة.

المبحث الثالث: التوصيات والمعالجات لمواجهة الانعكاسات السلبية للحرب العراقية- الأمريكية

١- ضرورة اعادة بناء ما دمرته الحرب من أبنية ومؤسسات إنتاجية وخدمية لارجاع عجلة المجتمع العراقي كما كانت قبل الحرب وتوفير الخدمات والسلع المنتجة محلياً لافراده بالسرعة الممكنة وبدون تردد أو مماطلة أو تسويق.

٢- خلق العمل في المجتمع والقضاء على البطالة التي طالت ملايين الناس وذلك من خلال اعادة فتح الوزارات الحيوية التي أغلقتها سلطات الاحتلال كوزارة الدفاع ووزارة الداخلية ووزارة الاعلام ووزارة الخارجية ووزارة الزراعة والاصلاح الزراعي... الخ، وفتح المصانع وورش العمل والشركات والمزارع والمناجم والمصالح الاقتصادية مع الايعاز لعمالها وموظفيها بالعودة الى أعمالهم حالاً.

٣- ضرورة اعادة فتح المؤسسات الخدمية التي دمرتها الحرب أو ألغتها قوات الاحتلال من خلال اعادة بنائها وتجهيزها بالمستلزمات والتقنيات والملاكات البشرية والعلمية والتقنية والأموال اللازمة التي تحتاجها. والخدمات المطلوب اعادة فتحها هي الخدمات الصحية وخدمات الصحة العامة والخدمات السكنية وخدمات الرعاية الاجتماعية وخدمات الاستخدام والتشغيل. فضلاً عن الخدمات الترويجية للشباب والمسنين.

٤- ضرورة الحفاظ على حالة الأمن في الداخل من خلال القضاء على الأعمال الارهابية وتفعيل مؤسسات العدالة الجنائية ومراقبة الحدود العراقية ومنع المتسللين الذين يعبرون الحدود للقيام بأعمال الشغب والنهب والسلب والقتل والارهاب. مع تعزيز حكم القانون وصياغة الدستور والاسراع في منح السيادة والاستقلالية للعراقيين.

٥- ضرورة الاسراع برفع المستوى المعاشي والاجتماعي والثقافي للمواطنين من خلال رفع رواتب وأجور الأفراد العاملين وتحسين مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والعلمية والصحية، مع حل المشكلات الاجتماعية المزمنة التي يعاني منها المجتمع العراقي كمشكلة الفقر والمرض والأمية والجريمة وجنوح الأحداث والأرهاب. الخ.

٦- ضرورة لمّ شمل المجتمع العراقي واعادة بناء وحدته الوطنية والفكرية، من خلال القضاء على النعرات الطائفية والأقليمية والعنصرية والطبقية والعقائدية، مع ضرورة الاسراع بتخليص العراق من الاحتلال الأجنبي الذي هو أساس الفرقة والانقسام والكراهية والعداوة والخصام بين العراقيين انفسهم.

٧- ضرورة قيام العراقيين بأتخاذ ما يلزم لتحرير بلدهم من الاحتلال الذي يزيل عنهم شعور الذلة والمهانة الذي يسيطر عليهم ويخمد عندهم روح العمل والبذل والعطاء في سبيل المجموع. علما بأن تحرير العراق يمكن ان يكون عن طريق الحوار البناء والهادف وليس عن طريق العنف والارهاب.

٨- ضرورة أيقاف اعمال العنف الأجرامية التي ترتكبها بعض القوى المقاومة للاحتلال ضد العراقيين الأبرياء بحجة أنهم يعملون مع الأمريكان لأن هذه الأعمال تقوض الوحدة الوطنية وتخلق حالة الفوضى والخراب وفقدان الثقة بالآخرين، وتطيل في الوقت ذاته مدة الاحتلال وتسلط المحتلين على العراقيين.

الخلاصة والاستنتاجات

لبحث الانعكاسات الاجتماعية للحرب العراقية- الأمريكية على المجتمع العراقي

تهدف هذه الدراسة الى تجسيد الأنعكاسات الأيجابية والسلبية للحرب العراقية- الأمريكية من أجل التعرف عليها أولا، ومعالجة جوانبها السلبية ثانيا توخيا لبناء مجتمع عراقي جديد خالٍ من آثار التداعي والدمار لكي يستطيع إحراز هدف البناء واعادة البناء الحضاري للمجتمع والأنطلاق نحو تيارات التقدم والتطوير.

تحتوي هذه الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسية هي ما يلي:

أولاً: الانعكاسات الاجتماعية الإيجابية للحرب العراقية- الأمريكية

وهذه الانعكاسات الإيجابية تقع في النقاط الآتية:

١- التضامن الاسري والاجتماعي في مواجهة أخطار الحرب وتهديداتها.

٢- بلورة وانتشار القيم النضالية وترسيخها عند الأفراد والجماعات.

٣- تخفيف الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين الأفراد والجماعات.

٤- التقشف في الانفاق وترشيد الاستهلاك.

٥- التحرر من الممارسات والعلاقات الدكتاتورية والسلطوية.

٦- توفر السلع الاستهلاكية والكمالية في الاسواق وقدرة الاسر العراقية على اقتنائها بسهولة ويسر.

ثانياً: الانعكاسات الاجتماعية السلبية للحرب العراقية الأمريكية

١- تدمير أجهزة ومؤسسات الدولة والمجتمع والتردد عن أعادة بنائها بالسرعة الممكنة بحجة عدم توفر الأمن.

٢- تفشي البطالة بين السكان وعدم توفر فرص العمل.

٣- تقليص وشحة مختلف الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين.

٤- غياب الأمن وتفشي ممارسات الأرهاب في ربوع المجتمع.

٥- تدني المستوى المعاشي والثقافي لمعظم الأفراد والجماعات نتيجة انقطاع مصادر الرزق.

٦- انقسام الأفراد والجماعات وظهور الصراعات واعمال القتل والنهب والسلب بين الناس.

٧- شعور العراقيين بالذلة والمهانة بعد تعرض بلدهم الى الغزو والاحتلال الأجنبي.

٨- ظهور المقاومة الوطنية المسلحة ضد قوى الأحتلال الذي أجج حالة الصراع بين الشعب العراقي وقوى الاحتلال الأجنبي.

٩- غياب السلطة والقانون والأمن لفترة طويلة من الزمن مما شجع العديد من المنحرفين والمجرمين وضعاف النفوس وفاقدي الذمة والضمير على ارتكاب الجرائم والأعمال الأرهابية ضد الأفراد والمؤسسات والملكية.

ثالثاً: التوصيات والمعالجات لحل سلبيات الحرب العراقية-الأمريكية ووضع نهاية سريعة لها.